صلات بين الثقافة الهندية والعربية (دراسة تقابلية)

هدايت الله زاهد*

الدكتور محمد سليم*

Cultural relations betweenArab&IndianNations can be traced from the early period of the birth ofHumanism, according to Islam, when forefather of mankind Hazrat Adam was descended to Earth from Paradise, He was setteled in territory ofIndia.He used to travel from India to Arabian land to perform Haj (pilgrimage) by foot as HazratIbn Abbas stated that HazratAadam travelled forty times to perform pilgrimage.. The first acquaintance of the residents of the Indian Sub-continent with the Arab peoplecame about when Arab sailors first docked at Indian ports in order to acquire spices in pre-Islamic times. This early trade contact occurred twoCenturies before Arab was attested as a distinct language in the Arabian Peninsula in the thirdcentury. We find great Hindi influence in Arabic literature.The influence shows that Arabs and Indian people were interested to share their mutual feelings, knowledge and goods. The article provides lingual & cultural, evidences regarding relationships between Hindo and Arab culture.The reader would be enable to enhance his information ,knowledge in understanding Arab and Hindoculture.It would be beneficial for the scholars of Islamic&Arabic studies as well as the students of History of Arab &Sub-continent.

وقد عاشت الحضارات والثقافات متصلة بعضها ببعض ومتبادلة العطاء والأخذ في القوة والضعف، ومتباينة في السلام والحرب،وكان الاتصال والاحتكاك بين الثقافة الهندية والثقافة العربية منذ العصر القديم،وان اتصال أمة بأمة يعقب آثارا شتى في النظم والعادات واللغة والثقافة -ان الصلات التاريخية والثقافية بين القارة الهندية والبلاد العربية ترجع إلى عهود بالغة في الزمن القديم -أن الاتصال الفعلي بين الهند والعرب يعود الى ما قبل الاسلام، ففي الهند يعتقدون ان آدم حين هبط من الجنة، نزل بالهند، ووضع إحدى قدميه بالسند، ويعتقدون ان آثار قدمه بها وأن الوحي نزل عليه هناك، ولما كان آدم هو جد سيدنا محمد، وكان آدم يحمل نور محمد في جبينه، لذا يقولون إن أصل نبي الاسلام يعود الى الهند، ويقولون ان الفواكه والطيب الذي

* طالب في الدكتوراه ,اللغة العربية,بقسم العلوم الإسلاميةوالعربية,الجامعة الكلية الحكومية,بفيصل آباد

* الأستاذالمساعدفي اللغة العربية,بقسم العلوم الإسلاميةوالعربية,الجامعة الكلية الحكومية,بفيصل آباد

جاء من الهند نزل به آدم من الجنة، لذا يقف مسلمو الهند عند حديث ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم "تأتي الى ريح طيبة من الهند" (1)

وان الروايات الاسلامية من الاحاديث النبوية التى وصلتالينا حول آثار الاسلام عند الهند فهى كلآتى :"عن ابن عباس؛ أن آدم عليه السلام حج على رجليه من الهند أربعين حجة" (2)

حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال حدثني أبي عن صالح بن كيسان قال حدثنا نافع أن عبد الله أخبره : أن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيئا وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج [ش (الجريد) ورق النخيل. (القصة) هي ما يسميه أهل الشام كلسا وأهل مصر جيرا وأهل الحجاز جصا . (بالساج) خشب جيد ذو قيمة يؤتى بهمن الهند .](3)

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عِيسَى عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ زِيَادِ بْنِ مُسْلِمٍ: أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْهِنْدِ قَدِمَ بِأَمَانِ عَبْدٍ ثُمَّ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ فَبَعَثَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِدِيَتِهِ إِلَى وَرَثَتِهِ(4)

وحدثني محمد بن حاتم وعبد بن حميد (قال عبد أخبرنا وقال ابن حاتم حدثنا محمد بن بكر) أخبرنا ابن جريج أخبرني عمر بن عبدالله بن عروة أنه سمع عروة والقاسم يخبران عن عائشة رضي الله عنها قالت طيبت رسول الله صلى الله عليه و سلم بيدي بذريرة في حجة الوداع للحل والإحرام [ش (بذريرة) قال النووي هي فتات قصب طيب يجاء به من الهند] -(5)ثم تطورت تلك الروابط حسب تقلبات الزمن حتى صارت الآن موثقة العرى وموطدة الأركان يقول العلامة الإمام الشهرستاني المتوفى سنة 548هـ-1153م في كتابه:"كبار الأمم أربعة العرب والعجم والروم والهند، ثم زواج بين أمة وأمة ، فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد ، وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحية"-(6)

و أن الإسلام قد دعا أمته إلى العلم والتعلم، وما إن اكتسح العرب العراق وإيران والهند والسند والشام وإلى غير ذلك من البلاد التي فتحوها،حتى مضوا ينهلون من كل الثقافات والمعارف التي كانت منبثقة فيها ،وقد تجرد بعض العرب لمعرفة اللغات الأجنبية التي كانت تحمل الكنوز الهائل من العلم والفنون،حتى صارت الثقافةالعربيةة ثقافة عالمية ومعروفة عند الأمم القديمة كاليونانية والفرس والهنود والسريان،وفي هذا المطاف العلمي الكبير، تأثرت الحضارة العربية بالحضارة الهندية متفائلة في محاور مختلفة، وركزت على الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية فضلا عن الدينية والفكرية.

فلا شك أن الحضارة العربية الإسلامية العباسية نضجت وتطورت فاستقامت متفائلة بالحضارات الأخرى وخاصة بالحضارة الهندية وأخذت عنها في كثير من المجالات العلمية ولاسيما تأثرت بالفلسفة والطب والكيمياء والأجرام الفلكية وإلى غير ذلك من الفنون والعلوم الهندية وما عدا إلى ذلك من المجالات اللغوية.

رواج المفرداتالهندىةة فى اللغةالعربيةة:

وقد اتصلت الحضارة العربية بالحضارة الهندية عن طريق التجار الذين كانوا يتناقلون البضائع ويتبادلون التجارة ،ثم تآزرت هذه الصلات والعلاقات وبدأت تتقوى وتتوطد على مر التاريخ وكر الزمان ، واحتكت الحضارة العربية بالحضارة الهندية منذ زمن قديم كما قدرأينا أن الشعراء الجاهلين قد استعملوا الكلمات الهندية وخاصة السيف المهند فى شعرهم:

فظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند (7)

وكما نرى أن كعب بن زهير يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيف المهند فى قصيدته المشهورة قصيدة بردة .

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول (8)

وكما قد رأينا أن هناك كلمات كثيرة قد دخلت اللغة العربية من الحضارات الهندية ، ولا سيما أسماء بعض العقاقير والجواهر كما جاء "أما أسماء

العقاقير والأطياب والجواهر فأكثرها هندى كالمسك ، فإنه فى اللغة السنسكريتية "مشكا "والزنجبيل" وهو فيها "زنجابير " والفلفل وهو ببالا أو فيفالا" .(9)

وتنهض الدلائل كلها على أن بعض الكلمات الهندية وردت فى القرآن الكريم ، وهذا يدل على أن الحضارة الهندية وأن كانت محتكة بالعربية والحضارة العربية لها تأثير واضح فى الحضارة العربية كما نرى كالأتي .

"طوبى":

وردت كلمة "طوبى" فى القرآن الكريم فى الآية .الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (10) وكلمة طوبى معناها في اللغة الهندية الجنة كما قال ابن الانبارى: وقال سعيد بن مَسْجوح:طوبى اسم الجنة بالهندية.(11)

الكافور:

وهذه الكلمة أيضا توجد فى الآية الكريمة التالي عرضها .إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (12) أي ماؤها كافور، وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده.)النبات) جزء من النَّبات يشبه الورقة يحيط بعنقود أو طلع الزَّهر كما في نبتة الأرسمية أو اللفت الهنديّ.(13)

وقد تجلى لنا خلال ذلك كله . أن العرب كانوا يحبون الهند أرضا وبحرا وثقافة ، وكما رأينا كيف أنهم تناولوا في أبياتهم وصف السيف الهندى الصارم الحسام، الذى كان العرب يحبونه حبا جما ، ورد ذكره فى الأبيات المذكورة أعلاه فى بيت كعب بن زهير وطرقة بن العبد.أن اللغة العربية لم تستحب و لم تقبل لجميع الكلمات الدخيلة، وكلها راجت باللغة العربية وأصبحت جزءا منها .

التأثيرات الاجتماعية :

ترتبط الحالة الاجتماعية بالعوامل الجغرافية والمظاهرالاقتصادية، وتختلف الحالة الاجتماعية لكل أمة ودولة حسب اختلاف هذه العوامل المذكورة أعلاه ، وعلى حين أن الحضارة الاجتماعية من أهم وأكبر العناصر التى تشكل مجتمعا وتكّون حضارة وتخلق ثقافة بحيث يعيش الناس مجتمعين ،وكانت سياستهم واحدة ولغتهم واحدة ، وظروفهم واحدة، فهذه العوامل تجعلهم أن يشتغلوا بمهن مترابطة حسب الموقع الجغرافي ووفقا للمناخ السائد فى المنطقة وقد قال ابن خرداذب ة فى كتاب ه

":المسالك والممالك" :ملک أهل الهند اثنان وأربعون ملة منهم من يثبت الخالق، عز وجل، والرسل ومنهم من ينفي الرسل، ومنهم النافي لكل ذلك .وتوالت بعد هذا الكتاب كتب أخرى في مختلف العصور. والمشكلة أن المؤرخين الأوروبيين في تناولهم للهند اهملوا الرجوع الى الكتب العربية ويقول المؤلف لو أنفقوا جزءا من جهدهم في معلومات المؤرخين العرب، لأكملوا فراغ تلك القرون، بين التاريخ الفارسي واليوناني ... ." (14)ووضع ابن النديم في كتابه الأهم "الفهرست" جزءا عن الهند وكتبهم وثقافتهم، ونجد كذلك بابا عن الهند في كتاب طبقات الأمم للقاضي صاعد الأندلسي-(15)

وقد يقول الجاحظ ب هذا الصدد :" وأما الهند فوجدناهم يقولون في النجوم والحساب ويقدمون في الطب ولهم أسرار الطب والدواء "-(16) وكما يحدها النهر بين البلاد العربية وبين البلاد الهندية الواقعة على ضفاف النهر ، وتوجد فيها غابات كثيرة والمناطق الصحراوية وكما تمتاز بالسهول والميادين وترتبتها ترية خصبة مخصبة بحيث اشتغل الناس بالزراعة.(17)

وتنهض الدلائل كلها على أن الزراعة كانت أساس الأريين الذين هاجروا إلى بلاد الهند واستقروا فيها واستوطنوها بعد أن استولوا على الدرافيديين الذين أيضا كانوا مزارعين، وغير ذلك كانوا يروون البقرة والماشية، ويسخدمون البقرة دون أن ينرلوها من أنفسهم مترلة التقديس ، وكانوا يحبون الحياة فى القرية ،ولذلك صارت الزراعة عالية ورفعية آنذاك ، أما فى المدن فقد ازدهرت الصناعة اليدوية ، وكانوا يصنعون نقابات قوية لصناع المعادن ، وصناع الخشب ، وصناع الحجر ، وصناع الجلود ، وصناع العاج ، وإلى غير ذلك من الأشياء المصنوعة باليد .(18)

ويبد أننا نرى أن البلاد التى وقعت على ضفاف النهر ، كان الناس فيها من الفطرة والجبلة تجارا يعبرون النهر ويصدرون ويستوردون الأشياء، من الهند إلى البلاد الأخرى ،وكان التجار العرب الذين كانوا ينقلون من بلاد الهند والسند بضائع مختلفة مثل الأقمشة والعاج والذهب والفضة والعملات الذهبية وأنواع التوابل،والسكر والسك والجوز الهندى وإلى غير ذلك . وكانت أخلاقهم رفيعة فى التجارة.(19)

الحضارة العربية الإسلامية و مقارنتها بالحضارة الهندية:

وكان موقف الحضارة العربية الإسلامية عن التوحيد والرسالة والمصادر الإسلامية موقفا واضحا لا يحتاج إلى تعريف وإشادة به هنا، أما التشريع الإسلامي فقد كان يقوم على أساس المساواة والعدل والإنصاف والقسط ، ولكن هنا أود أن أقارن بعض النقاط المهمة والخطوط العريضة التى تعطي فكرة كاملة ورؤية شاملة عن المعرفة والإطلاع عن هاتين الحضارتين-

ولعل أول ما يشد انتباهنا بين هاتين الحضارتين ، هو التقسيم الطبقي الذى دعت إليه الحضارة الهندية ، فإنه يقوم على الجور والظلم والاضطهاء ويؤدى إلى الانحطاط والانخفاض لمترلة الإنسان على حين أن الإسلام يرفض الظلم ويفند الجور وينكر الاضطهاد ويخالف التعصب ، ولا يرفع مجموعة دون مجموعة ، بل ينظر إلى الإنسان بنظرة متساوية، ويفضله على أساس التقوى والأعمال الخيرية التى يقوم بها، كما جاء في القرآن الكرم:﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(20)

فلم تكن الحضارة العربية الإسلامية قد أخذت عن الهندية شيئا ما قبل هذه التقاليد والطقوس التى لا تمشي مع الفطرة ولا تستقيم مع الجبلية،.وعلى المضي قدما ، نحن نرى أن موت الرجل أوالزوج ، يجعل الزوجة فى مشكلة كبيرة ، إما أن تلقى بنفسها فى النار وتنتحر ،وإما تبقى أرملة فى الملابس البيضاء ، وهذه التقاليد والطقوس أيضا غير فطرية وغير سليمة ، فإن الإسلام لا يعززها ، بل ينددها ويقضي عليها ، وقد عرف نظام الطلاق والزواج وعدد الزوجات حيث قد حفظ المجتمع من التفكك ،والانتشار والفساد فى المتجمع ، وخصص له عقوبة رادعة مانعة حيث حفظ كرامة الإنسانية وصانها من الدينة، كما جاء في القرآن الكريم :﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾(21)

وترفض الحضارة الإسلامية العربية تقاليد البوذية حيث تفضل البوذية الانتحار وعدم الاستمتاع بالحياة ولذاها ومسراها ، بينما لا تدعو إلى ذلك الحضارة العربية الإسلامية وكما أنها ترقض مادعت إليه البوذية والجانتية من عدم أكل العسل

والبعد عن الخرافة وإلى غير ذلك من العادات والتقاليد التي لا تستقيم مع الفطرة والعقل .

أما التقاليد والطقوس التي تمشي مع الفطرة ونتسايرمع العقل ، والأحوال الاقتصادية العامة مثل الحرث والزراعة والتجارة والصادرات والواردات وتبادل البضائع ، وأحكام الدولة ونظام العقوبات الصالحة،فإننا لن نرى فيها أي تعارض لا تضارب بين هاتين الحضارتين ، وربما تأثرت الحضارة العربية من هذا الجانببالحضارة الهندية، وقد أقرها الإسلام كما هي لكونها صالحة للعقل ومناسبة للف طرة ومفيدة لفلاح الإنسانية وتهذيبها وترتيبها.

الروابط السياسية

لاتعيش دولة من دول العالم دون نظام سياسي أو قانون بلدي يحكم الشعب ويضبط المجتمع ويراعى حقوق الأفراد والمجتمع ، وكان هذا النظام يضمن للناس الأمن والراحة -وتمر كل حضارة بمراحل مختلفة وتشهد بفترات تاريخية متنوعة وتعاني من الانقلابات السياسية المختلفة وتتعرض للثورات والهجومات الداخلية والخارجية وتنتقل من نظام إلى نظام وتتحول من قانون إلى قانون أخر أثناء النضج والتكامل والتفاعل حتى تستقر الدولة لفترة معينة وتعيش متصاعدة فيها إلى النمو والارتفاع.

ومن ثم نحن نرى ونلاحظ أن الديانات الهندية التي ظهرت في الفترات المختلفة منذ ظهور الحضارة الأولى امتداد إلى يومنا هذا ، كانت تحمل في طياتم لمحات صريحة وتعليمات قيمة وأفكار نبيلة ، وينبغى لى فى هذه المقالة أن أسلط الأضواء على القانون البوذي الذي كان يحتل مكانة رفيعة .لقد شهدت الحضارة الهندية أحوال كثيرة فى مسيرتها التاريخية ومرت بأموال سياسية كثيرة ما بين الانحطاط والتدهوروالضعفوالازدهار والنمو والترقية والسمو،وذلك أن الهند ليست مركز الأمة واحدة كمصرأو بابل أو انجلتر ، بل إنها قارة كبيرة نسكن فيها أسر مختلفة وتدورفيهالغات كثيرة ،كما أنها تحمل فى أجوائها فنون م تنوعة وفلسفات مختلفة ،وآداب كثيرة -(22)

القانون البوذى :

أن الحضارة الأرية كانت سائرة ورائجة فى الهند كلها ، ولكن فجأة ظهرت الطبقة الكهنوتية التى كانت تعيش ظل الحكم الآريعلى العرش ،وبسط نفوذها على الهند كلها . وكانت هذه الطبقة تمارس أعمال الطقوس والمراسيم دون اعتراف بأي التفوق والترفع بها على الاجناس الأخرى من الناس ، وكانت هذه الطبقة الكهنوتية سميت بالبراهمة قديما ، وأصبحت من قمه الطبقات البشرية فى الهند.(23)

وقد قسم المجتمع الهندى إلى الطبقات الأربع المعروفة ، وأن أول كتاب قانوني قدجمع فيه قوانين مانو، اى الشريعة الهندوكية المتمثلة،قدألف فى عام 2000 ق م ، حيث ذكر فيه قوانين ثابتة لهذه الطبقات وظائفها وأعمالها ، ثم ظهرت فيهم عقيدة التناسخ . وهي أن الأرواح تتخذ أشكالا سيئة وحسنة حسب الأعمال التى قامت بها في الدنيا، وهي تتحول إلى الحيوانات، وكما أنها تدعو إلى الانتحار والبعد عن لذات الدنيا ومسراتها.(24)

وأعقبت هذه العقيدة عقيدة أخرى وهي عقيدة التقمص بحيث أن الروح تتولد مرات كثيرة، وسادت هذه العقائد الباطلة (25)-وكانت تحكم الناس وكانوا يخافون من غضب هذه الآلهة ، وهكذا أن الألهة تحكم حكما خيالبا أو حكما فرضيا.

الحضارة العربية الإسلامية:

فالقرآن الكريم له سحر يوثر فى الوجدان،ويأسرالقلوب،ويجعلالإنسان أن يشهد شهادة هذه وأن يؤمن إيماناقويا بواحدانية الله وتوحيده،فنحن نلاحظ بكل وضوح وجلاء ،أن الحضارة الإسلامية تقوم على أساس التوحيد وعلى جوهر الواحدانية:فإذن لاعلاقة بين الحضارة الهندية القديمة والحديثة الحضارة الإسلامية الحديثة من ناحية العقيدة .أن الهنود يؤمنون بتعدد الآلهة كاليونانين ، بينما الحضارة العربية قد جاءت لتحطيم هذه الدعامة والإقلاع عن هذه الأصالة ، بل شدد على من اقترب إلى هذا واعتبره من الظلم والشرك كما جاء في القرآن الكريم:﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (26)

لاتحب الحضارة الإسلامية بعقيدة تعدد الإلهة ، فكيف تميل إلى تقديس أفراج الحيوان، – فالعياذ بالله ، وكذلك تكره الحضارة الإسلامية عبادة الجمادات والحيوانات والصخور والأشجار والتماثيل والأوثان والأصنام حتى جميع مظاهر الحياة وقوى الطبيعة .

ومما يترتب على ذلك أن الحضارة الهندية لم تؤثر من ناحية العقيدة على الحضارة العربية الإسلامية الجديدة ، ربما تأثرت الحضارة العربية قبل الإسلامية بشكل ما وبصورة ما بعبادة الأصنام والتماثيل والأشجار والصخور وما إلى غير ذلك .

لقد لاح لنا خلال هذا البحث أن الحضارة الهندية تؤمن عن بعيد بالجنة والنار ، ومن هنا يوجد التشابه بين الحضارة العربية الإسلامية التى تعتقد اعتقادا ، جازما بالجنة والجهنم ، والمكأفاة والمعاقبة ، والخير والشر ، ولكن ينبغى أن نقف هنا وقفة متأنية بأن الحضارة الإسلامية العربية لاتؤمن بعقيدة تناسخ لأرواح وولادتها مرات عديدة واستحالتها إلى حيوانات أو فى أشكال متعددة،بل صرح القرآن في هذا بكل وضوح وجلاء،﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.(27)

تبين لنا خلال الإطلاع على الحضارة الهندية بأنها تقسم الناس إلى الطبقات الأربعة على الجور والظلم والاضطهاد وتقسيم الثروة والمصادر وفرص التطور والترقية والتنمية حسب هذه التقسيمات ، وهذا النظام مبني على غير العدل وعدم المساواة و التفاوت الديني .بينما نرى أن الحضارة الإسلامية العربية تؤمن بالعدل والمساواة ولا تفرق بين الغنى والفقير والعربى والأعجمى ولا القوى والضعيف - فالناس جميعاأمام القانون سواسية ولا تحفيف للغنى دون الفقير ولا السماحة للقوى دون الضعيف﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (28).وقد ظهر لنا أن البوذية والجانتية تدعو إلى التقشف والزهد فى الحياة وعدم التمتع باللذات والمسرات وقضاء الحياة منعزلا ومنفصلا ، أن الإنسان لا يتناول العسل لأنه غذاء النحل وكما تجعل الجانتية الزراعة حرام على الجانتين وذلك أنها حق الحشرات والديدان . وكما إنهم يؤمنونبالانتحار والحياة الصعبة وبينما نحن نرى أن الحضارة العربية تنفى الانتحار وقد خلق الله سبحانه

وتعالى هذه النعم والآلاء للإنسان وسخرهاله ليشكر خالقة وربه كما جاء في القرآن الكريم:﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (29)

فنحن نرى أن الحضارة الهندية تعترف بمبدأ القصاص حيث أن العين بالعين والسن بالسن ، وهذا هو المبدأ الذى قد دعا إليه الإسلام أعطاه قالبا أجمل ورؤية أوضح ، وشكلا أكمل وصورة أشمل حيث قال الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُوْلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(30)

قد تجلى لنا من خلال الإطلاع على هاتين الحضارتين بأن الحضارة العربية لم تكن متأثرة بالحضارة الهندية إلا فى تلك القوانين الفطرية والأصول الإنسانية الاعتيادية لكون الإنسان من أب واحد وأم واحدة .أما فى الجوانب الأخرى لا نجد الترابط ولا العلاقات بينها لبعدهما بعدا كبيرا .

تأثيرات موضوعية فى المفاهيم والأفكار:

وقدتطورت الحضارة العربية والثقافة الإسلامية تطورا كبيرافى العصر العباسى ، وذلك أن الإسلام اهتم بالعلم والتعلم اهتماما عظيما،وكان العرب قد أكبوا على العلم والمعرفة، فاشتد بهم الولع بالعلم حتىيأخذون من كل الثقافات والمعارف التى كانت ظهرت فيها ، وقد تجرد بعض العرب لمعرفة اللغات الأجنبية التى كانت تحمل الكنوز الهائل من العلم والفنون،ولا يمرالقرن الثاني الهجري حتى تكون قد دخلت العربية سيول ثقافية وعلمية لا يمكن حصرها، مما جعل العرب أن تصير أمة علمية وثقافة عالمية تهتم بكافةالجوانب العلمية وجميع النواحي الحضارية التى كانت معروفة عند الأمم القديمة والثقافات العربقة كاليونانية والفرس والهنود والسريان-

وفي هذا المطاف العلمي الكبير، تأثرت الحضارة العربية بالحضارة الهندية متفائلة في محاور مختلفة، وجوانب متعددة ، وبيدا أنني في هذا المبحث أحاول أن أتناول فيه الجوانب الموضوعية التى تأثرت بها الحضارة العربية من هذه الحضارة .

لقد ظهرت الحركة العلمية والأدبية فى العصر العباسى ونشطت هذه الحركة إلى نقل علوم الأوائل المستمدة من الحضارات اليونانية والفارسية إلى اللغة العربية ، وهنا أود استجلاء نشاط هذه الحركة العلمية والأدبية فى نقل العلوم الهندية والكنوز والفنون كالطب والرياضيات والفلك والأجرام، وإلى غير ذلك.

لقد بلغت هذه الحركة العلمية والأدبية أوج أزدهارها وذروة مجدها فى العصر العباسى بفضل الاتصال الخصب المثمر بين الثقافة العربية الخالصة وبين ثقافات الأمم القديمة من اليونانية والفارسية والهندية، وقد انتقلت الحضارة الهندية إما عن طريق الفرس الذين توسطوا نقلهم ، وإما عن الطريق المباشر عن قوم من مستعربى الهند ، الذين شاركوا مشاركات كبيرة فى هذا النقل فى موضوعات مختلفة وهى كالآتي :

علمالرياضى والفلكي الهندى واثره على الحضارة العربية :

وكانتالحضارة الهندية تلم بالعلوم العقلية كعلوم الرياضيات والفلك والطب والكيمياء وغيرها إلمامة كبيرة ، وكانت قد نقلت من الهندية إلى العربية ، وبالخصوص الرياضيات من أهمها وأكبرها أهمية ومنزلة، وأخذها العرب عن الهنود فى البداية ،وقد أخذوا عنهم أرقام الحساب من 1 - 9 ، ولذلك يسمى العرب هذا العلم بالحساب الهندى أو ألارقام الهندية .وكان محمد بن موسى الخوارزمى من أكبر العلماء الرياضيين والفلكين الذين قد أضافوا إضافات رائعة مبتكرة فى أرقام الحساب الهندي وفى حساب المثلثات وفى الجغرافية وفى الأزياج أو فى الجداول الفلكية .وقد استقادوا كثيرا من الكتب الهندية الرياضية .(31)

أما عن علوم الفلك والنجوم أو الأجرام الفلكية ، فكان لعلماء الهند والسند لهم باع طويل فى هذا المجال،وقد كان المنجمون قد وصلوا إلى درجة عظمى حيث تعرضواللأخبار عن الغيبات ، ويخبرونالناس عن مستقبلهم عن الشؤون الأهلية والبلادية وإلى غير ذلك ، وكانوا قد اكبوا على دراسة النجوم والأجرام الفلكية ، وعرفوا هذه العلوم معرفة جيدة ، بينما نرى أن الإسلام لم يأخذ هذه العلوم لأجل هذه المقتصدات الباطلة ، بل أخذها كعلوم عقلية يبحث عن أسرار الكون وفى

الأجرام السماوية ، وذلك أن الإسلام منعهم منعا تاما عن هذه العقائد والتحدث إلى الناس عن أخبار الغيب والمستقبل .

وأخذ العرب هذا العلم الخطير عن طريق علماء الهند والسند ، وخاصة عن كتبهم القيمة التى قد نقلها المترجمون فى القرن الثاني فى العصر العباسى إلى اللغة العربية ، ومن أشهر هذه الكتب ،هو كتاب "سدهانت" ، وأركند، وأرجهد، وإلى غير ذلك من الكتب.

علم الطب والمعرفة عن العقاقير :

وكان العرب لايلمون بالطب المتقدم فى البداية ، وكانوا يعتمدون على بعض الوصفات الشعبية فى علاج الأمراض ، ولكن لما جاء الإسلام ، واتجهت عناية الإسلام إلى العلمو البحث والتحقيق ، وزادت هذه الرغبة فى العصر العباسى حيث نقل العرب كتبا كثيرة طيبة إلى اللغة العربية من اليونانية والفارسية والهندية ،والآن أود أن أشير إلى ما استفاده العرب من الحضارة الهندية فى مجال الطب والعقاقير.

وقداهتم العرب بعلم الطب الهندي السندي اهتمام ا بحد بالغ ،وكان ذلك لأسباب كثيرة .

1 - عناية البرامكة بالعلوم السندية والهندية عناية فائقة واهتمامهم بنقلها إلى اللغة العربية ، وخاصة في مجال الطبلما فشل الأطباء اليونانيون والفرس بعلاج بعض الأمراض التى أصيب بها الخلفاء والحكام ومنهم هارون الرشيد الذي أصيب بمرض خطير ، وطلب البرامكه الأطباء من الهند بعد موافقة الخلفاء إلى دار الحكومة، و كان من هؤلاء الأطباء منكه الهندى ، وقد تمكن هذا الطبيب من معالجته وأثبت بذلك مهارة أطباء السند والهند في علم الطب ، ومنذ ذلك الحين ، انصب اهتمام الخلفاء والحكام بالطب الهندى والسندى ، وكان منكة الهندى اشتغل بالنقل من الهندية إلى العربية، وقام بتفسير كتاب أسماء عقاقير الهند لاسحاق بن سليمان ، كما أمره يحي بن خالد البرمكى ، بتفسير كتاب "سسرد" من البيمارستان ، وترجم كتاب "السموم " تشاناق الهندى إلى الفارسية ، ثم نقله إلى العربية .(32)

2 - وقد اهتم البرامكة اهتماما كبيرا بنقل التراث اليوناني والهندى والفارسى إلى اللغة العربية ، وقد انفتح العرب على التراث الهندى الطبى كثيرا جدا ، كما يقول

الجاحظ : "اجتلب يحي بن خالد البرمكى أطباء الهند مثل منكه وبازيكر ، وقلبر قل وسندباذ وفلان وفلان ، وقد عملوا فى البيمارستان الكبير ببغداد ، وسرعان ما استعربوا وشاركوهم وغيرهم من مستعربة الهند فى نقل بعض الكنور الهندية وخاصة فى بالطب والعقاقير وشمل نقلهم صحيفة طويلة فى القواعد البلاغية ".(33)

وهنا أتعرض لأهم الكتب الغير المذكورة سابقة التى انتقلت إلى العربية من الهندية أو السنسكريتية وهي كالآتي "شرد"،وشرك وسندستنان، واستانكر، وتذانوغيره.

علم الكيمياء:

لم يستفد العرب فى مجال الكيمياء كما استفادوا من الحضارة الهندية السندية فى مجال الطب والرياضيات، ولكن مع هذا نحن نرى أن هناك كتب كثيرة قد ترجمت من اللغة السنسكرتيتة إلى اللغة العربية ، وقد أشار ابن النديم إلى كتاب سنسكرتيتة الذى نقل إلى اللغة العربية .(34)

علم الأدب الخلقى :

وقد تأثرت الحضارة العربية بالخضارة الهندية من الناحية الخلقية والأدبية ، وكان أشهر كتاب في هذا الصدد هو كليلة ودمنة قد نقل إلى اللغة العربية ، وكان فى الأصل فى اللغة السنسكرتية ، وكان هذا الكتاب أولا ترجم إلى اللغة الفارسية ، ثم قام بترجمته عبدالله بن المقفع من الفارسية إلى العربية ، (35)وقد ذاع صيت هذا الكتاب فى حلقة الخلفاء والسلاطين والحكام ، وحظى عندهم بمكانة عظيمة ، وتعاطاه العلماء والأدباء حيث حاولوا نظمه ونشره بأساليب مختلفة ، وقد قررهذا الكتاب فى المناهج الأدبية فى كثير من المدارس الدينية الإسلامية بين باكستان والهندوإلى غير ذلك من البلاد العربية الأخرى. وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة الأفاق ، مترامية الآفاق إذ ترجم إلى لغات كثيرة، وكما كان له كتابان آخران وهما الأدب الكبير والأدب الصغير.

اسهامات الشعراء والعلماء فى الثقافة العربية :

لم يكن العطاءالهندى والسندى للحضارة الإسلامية العربية مقصورا فى مجال العلوم العقلية كالطب والرياضيات والفلك والكيمياء وإلى غير ذلك من العلوم ، بل نلاحظ فى هذا الجانب أن هناك كثيرا من العلماء والشعراء من الهند والسند ، كانوا قد ذهبوا إلى البلاد العربية وأكبوا على اللغة العربية وأتقنوها وأجادوها إجادة، وأسهمواإسهامات بارزة فى تطورالحركة العلمية والأدبية فى العصر العباسي بصفة خاصة والأدب العربى والحضارة الإسلامية العربية بصفة عامة.

وكانت بلاد الهند والسند من البلاد السعيدة التى هبت عليها نفحة من نفحات الإسلام فى فجر التاريخ للإسلام، وأدركتها العناية الإلهية فى القرن الأول ، فلم تزل مهبط ومحط رجال المسلمين من الغزاه والفاتحين، العلماء الصالحين ، والشعراء والأدباء ، وصارت هذه البلاد خصبة للإسلام وترتبتها ترية نائمة للحضارة الإسلامية ، فأشرقت بنور الإسلام كما أسهم أهلها فى الدين والعلم والشعر تأليفا وتصنيفا ، إبداعا و إنتاجا، ونبغ منهم شاعر عربي بليغ عطاء السندى، تشاجم السندى الرملى الشاعر (المتوفى 360هـ)وأبو الريحان البيروني، وعبدالرحمن بن عمرو الدمشقى (الإمام الأوزاعي)، و أبو ضلع السندى العراقي، وابن دهن الهندي ومنكه الهندي، وإلى غير ذلك من الشعراء والأدباء والأطباء.

ويكفي لي أن أعرف شاعرا مشهورا وهو أبو عطاء السندي الذي نال سمعة واسعة في مجال الأدب، وكان قد أتى بمعية والده يسار السندى إلى الكوفة موالى بن أسد ، ونشأ أبو عطاء فيها ، وكان له توقان شديد للأدب واللغة العربية ، وتفتحت براعم الشعر على لسانه ، وقد مدح بنى أمية وبنى عباس ، ولذلك يسمى من الشعراء المخضرمين الذى عاشوادولتين وله فى كتاب حماسة مقاطع نادرة منها.

ذكرتك الخطي يخطر بيننا وقد نهلت منا المثقفة السمر
فوالله ما أدرى وإنى لصادق أداء عراني من حبابك، أم سحر
فإن كان سحرا ، فاعذريني على الهوى وإن كان داء غيره ، فلك العذر(36)

وإن كان هناك عدد هائل من الشعراء الذين كانوا من الأصل ينتمون إلى البلاد الهندية والسندية ، ثم وفدوا وزاروا البلاد العربية وألموابالثقافة العربية ومالوا إليها

كل الميل حتى نبغوا وساهموا مساهمات بارزة فى تنشيط وتطوير الحركة العلمية والأدبية فى العصر العباسى، وسوف أتعرضلهم في مبحث آخر إن شاء الله.

وقد تجلى لنا من خلال كتابة هذه المقالة وهو أن الحضارة الهندية كانت قوية العلاقة مع الحضارة العربية،ولا زالت، وقد أثرت في الحضارة العربية من نواحي شتى وجوانب مختلفة-

خلاصة البحث وتوصياته:

1 ــ ان الحضارة ظاهرة اجتماعية تقوم على العاملين الرئيسين وهما الأرض والإنسان فى الكون ، وتغطى جميع الموضوعات والمجالات والجوانب التى تتصل وتقترن بهذين العاملين من عقيدة وسياسة واجتماع واقتصاد وما ينشأ عنه من محاولات الاستكشاف والاختراع والتفكير والتنظيم والعمل-

2 ــ وان الحضارة فهي تسير كتسير الشمس ،فكأنها تدور حول الأرض مشرفة فى أفق هذا الشعب، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر ،فإنها لا تموت نهائية ،ولا تفنى ، بل تهاجر من بلد إلى بلد -

3ــ ومما لاشك فى ذلك أن الحضارات الهندية من أقدم الحضارات وأكبرها فترة وأعظمها رفعة وأشملها نظاما وأرقاها تقدما وتطورا.

4 كل أمة تتصل بأمة أخرى،أو تتصل حضارتها بحضارة أمة أخرى ، وهذا الاتصال أوالاحتكاك يعقب أثارا شتى فى مجالات مختلفة وحقول متنوعة كالنظم والعادات والعقائد واللغة والثقافة والفنون والعلوم وإلى غير ذلك من المجالات الأخرى كما رأينا في هذا البحث.

5ــ لاح لنا خلال عرض الحضارة الهندية بأنها من حيث العقيدة والمذهب تؤمن بتعدد الآلهة ، وتتفاوت كل واحدة منها فى العدد إذ أن الهنود تؤمن أيضا ببعض الآلهة "مثرا " وإله أناهينا ، وإلى غير ذلك من الآلهة الأخرى، وكما أنها تدعو إلى تقديس بعض الحيوانات وأفراجها والأفاعي والنار إلى درجة الألوهية.

6 ــ ظهرت الحضارة الإسلامية ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قد قضى ثلاث عشرة سنة فى مكة لدعوة التوحيد والقضاء على الأصنام والثماثيل ،ونفى جميع الآلهة المصنوعة وغيرالمصنوعة وقوى الطبيعة وغيرها.

7 ــ تحمل الحضارة الهندية وخاصة البوذية ، بعض الأفكار الفاسدة مثل الانتحار وترك اللذات وقضاء الحياة فى الغابات بعيدة عن كل شيئ ، وهذا لا تغزره الحضارة الإسلامية العربية ، أما ما يوافقه في الأساس مثل قضية الجنة والجهنم ، فلا اعتراض فى ذلك ، ولكن ما ذهبت إليه هذه الحضارة من تناسخ الأرواح ودخولها فى صورالحيوانات الجيدة والسيئة حسب الأعمال التى قدمتها فهذا يخالف الأساس الإسلامي ، بينما العقاب والجزاء فى الآخرة حسب الأعمال المقدمة ويكون ذلك فى يوم القيامة ولا يكون فى صور الأرواح المتمثلة فى هذا الشكل.

8ــ تدعوا الحضارة الإسلامية إلى المساواة والعدل الحقيقى والإنصاف الكامل ، ولا يوزع الإنسان إلى نظام الطبقات كما رأينا عند الهنود إذ قسموا الإنسان فى الطبقات الأربعة بالجور والاضطهاد والعدوان، بينما في الإسلام يفضل بالتقوى، كما ورد ذلك في القرآن الكريم﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾

9 وقد ــأثرت الحضارة الهندية أيضا فى مجال الطب والفلسفة والمنطق والبلاغة وظهرت مفردات كثيرة فى العربية ، واستقرت فيها،حتى وردت بعضهافى القرآن الكريم كما وردت كلمات وألفاظ كثيرة من الفارسية إلى العربية واستقرت فى الشعر واللغة والنثر.

الهوامش

(1)http://www.alittihad.ae/details.php?id=6525&y=2009 23\12\14

(2)البيهقي ،أبو بكر أحمد بن الحسين: شعب الإيمان :تحقيق :محمد السعيد بسيوني زغلول ،بيروت ،دار الكتب العلمية ،الطبعة الأولى ،ج:3، 1410هص: 434

(3) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: الجامع الصحيح ،تحقيق : د.مصطفى ديب البغا ،اليمامة ،بيروت ،دار ابن كثير ،ج:1،باب بنيان المسجد الطبعة الثالثة ، 1407ه – 1987م،ص:171

(4) ابوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ،تحقيق:علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابنالتركماني،باب:امانالعبد،حيدرآباد،مجلسدائرةالمعارفالنظاميةالكائنة فيالهند، ج:2،الطبعة:الأولى،1344هــ،ص:306

(5)مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، بيروت،باب:الطيب للمحرم عند الاحرام،دار إحياء التراث العربي تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي،موقع شبكة مشكاة الإسلامية، ج:2،ص:846

(6) الشهرستانى،محمد بن عبد الكريم بن ابى بكر احمد: الملل والنحل،تحقيق:امير على مهنا وعلى حسن فاعور،بيروت لبنان،دارالمعرفة، ج:11919 م1414هـ،ص:18

(7) أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري: مجمع الحكم و الأمثال ، تحقيق :محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت ،دار المعرفة،ج:1،ص:447

(8)أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني :دلائل الإعجاز، تحقيق : د.محمد التنجي ، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ،1995م،ج:1،ص:38

(9)زياد جابر بن مسلم، تحت إشراف د - عدنان ملحم، رسالة الماجستير صورةالهندعندالمؤرخينالمسلمين، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2009م، ص:73

(10) الرعد: 29

(11) أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري :الزاهر فى معانى كلمات الناس ،تحقيق : د. حاتم صالحالضامن،بيروت،دار النشر / مؤسسةالرسالة الطبعة : الأولى 1412 هـ -1992م

(12) الدهر:5

(13)http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%83%D8%A7%D9%81%D9%88%D8%B1%D8%A7/dated:25\12\14

(14)ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، موقع الوراق http://www.alwarraq.com، فصل:(والهند سعة اجناسهم)،ج:1،ص:17

(15) http://www.alittihad.ae/details.php?id=6525&y=2009 23\12\14

16- ول وايرل ديورانت، ترجمه الدكتور زكي نجيب محفوظ : قصة الحضارة(الهند وجيرانها) الجزء الثالث من المجلد الأول، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت لبنان، ص:13

17- الدكتور عبد الله مبشر الطرازي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، الطبعة الأولى، مكتبة عالم المعرفة، جدة السعودية العربية 1983م، ص 55:56

18- ول وايرل ديورانت، ترجمه الدكتور زكي نجيب محفوظ :قصة الحضارة(الهند وجيرانها) الجزء الثالث من المجلد الأول، ص:26

19- الدكتور عبد الله مبشر الطرازي :موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، الطبعة الأولى، مكتبة عالم المعرفة، جدة السعودية العربية 1983م، ص: 109

20- الحجرات:13

21 النساء: 3

22 الدكتور محمد إسماعيل الندوي :الهند القديمة حضارتها وديانتها ، القاهرة، مصر ،مكتبة دار الشعب ، 1970م، ص: 21-27

23 نفس المصدر،ص: 100

24 نفس المصدر،ص: 102

25- الدكتور شوقي أبو خليل :الحضارة العربية الإسلامية الطبعة الأولى، مصر: دار الفكر المعاصر ، 1994م، ص: 50

26 الدكتور عبد الله مبشر الطرازي :موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، ص: 101

27 الاسراء:85

(28) النحل: 90

(29) الرحمن:19

(30)البقرة:179

(31) زياد جابر بن مسلم، تحت إشراف د، عدنان ملحم :رسالة الماجستير صورةالهندعندالمؤرخينالمسلمين، ص: 240

(32) نفس المصدر،ص: 242

(33) الجاحظ ،أبي عثمان عمرو بن بحر :البيان والتبيين ،تحقيق: المحامي فوزي عطوي ،دار صعب ، بيروت،الطبعة الأولى ،ج:1،1968 ،ص:64

(34)- الدكتور عبد الله مبشر الطرازي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، الطبعة الأولى، جـــ:1، ص: 43

(35) حنا الفاخوري :الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الطبعة الأولى، لبنان، دار الجيل، بيروت ،1986م، ص:356

36) العلامة الشريف عبدالحي بن فخرالدين الحسني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ،جَ: 8 ، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، دار الحزم) 1999م، ص: 45-47